أسس الفكر الاسلامي المعاصر

المدرس الدكتور
جاسم علك شهاب خميس
جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية – قسم الدراسات القرآنية

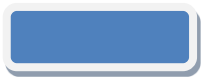

أسس الفكر الاسلامي المعاصر

"**Foundations of Contemporary Islamic Thought**"

المدرس الدكتور
جاسم علك شهاب خميس
جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية
Lecturer Dr. Jassim Allag Shehab Khamis

الملخص:

اسس الفكر الاسلامي المعاصر متعددة ، والنظر السليم لهذه الاسس منذ التكوين والإنشاء والابتكار للفكر الاسلامي شهد تطورا وتجديدا ملحوظا ، وأسس الفكر نتاج تفاعُل الإنسان المفكر مع المحيط الخارجي بميزان الدين الاسلامي وصراطه المستقيم ، وخلاصة الاستنتاجات والخبرات الخاصّة السابقة والحديثة والمعاصرة ، والمعارف التي تناولها المفسرون والمفكرون والعلماء والفلاسفة والباحثون الاسلاميون حتى يمكن القول ان مبادىء الفكر منذ نشأة الفكر الاسلامي وحتى يومنا المعاصر كانت وليدة عناصر وخصائص اكسبته قابلية النمو والديمومة والتفاعل مع مقتضيات الواقع ، والباحث يستنتج من خلال ذلك اسس الفكر في مسيرة نمو الفكر الاسلامي وتطوره ونضجه .

كلمات مفتاحية ؛ أسس – الفكر الاسلامي – المعاصرة .

Key words; Foundations – Islamic thought – contemporary.

مقدمة

منهج التساؤلات الفكرية والمواقف المنفتحة لأكثر المعارف والعلوم الممارس فيها هي الملامح الاولية لأسس الفكر ، وإن أسس هذه المناهج غير منفصلة وإنما هي متكاملة ومتفاعلة في الإنتاج المعرفي للشخصيات التي احتلت الساحة الفكرية والصورة النموذجية لهذه الاسس عند من ندعوه المثقف المسلم ، ممن حاول ان يقدم جواب مناسبا للتحديات التي واجهها المجتمع المسلم، وفهم بشكل صحيح الواقع الاجتماعي والإنساني والسياسي والثقافي والتربوي ، ومما دلَ على متانة من ندعوهم فلاسفة وعلماء ومفكرين

، ممن قدموا دراسة وتراث فكريا ، وطريقة عمل بحسب السياقات التاريخية والاجتماعية التي عاشوها ، والمناقشات التي دارت معهم ، تلك القضايا العلمية والفكرية من اجل التفكير الناهض والواعد لأجيالهم ، بل حملوا الهم الفكري المتجدد ليتشكل ويوسع من مجالات المعرفة وأطرها ، كذلك ممن اشتغل بفرز العلوم وتصنيفها ، واهتم بنقد المناهج والمقاربات غير الصحيحة ومن ثم ترك أي قطعية معرفية مع العلوم الاخرى، وزاد في حجم التبادل الثقافي والفكري في الساحة الثقافية والتساؤلات الفكرية والمواقف المنفتحة التي ميزت افكارهم سواء من حيث المعارف والعلوم الممارسة فيها او من حيث المشاكل التي مرت بها تلك الساحة الثقافية .

ويمكن القول بأن الفلاسفة والعلماء والمفسرين هم مثقفون بامتياز من حيث قوانين الافكار وأسسها التي استنتجوها ونَظروا لها ، ورجال تحملوا بروح مستقلة محبة للاستكشاف الفكري الصعاب ، وقدموا نموذج فكريا مبدعا ، حيث كرسوا كل جهودهم وانتباههم لتفسير المعاني الدقيقة للنصوص واستنباط اسس المعارف منها ، ولان رجل العلم هو الرجل الوحيد الذي اهتم بمسألة التأسيس للعلوم وقوانينها وبلور موقفا حاسما وأكثر جرأة وهضم كل النتائج وتمثلها في العلوم العقليه كل بحسب الطريقة التي يرتئيها. وإن أسس هذه المعارف واحدة ولكنها مختلفة في طبيعتها من منهج إلى آخر نتيجة لتباين المناهج وتباين فلسفتها وحاجاتها ونظرتها إلى الفكر والدور المطلوب منه ، ونظرتها إلى المعرفة وتنظيمها .

وتهدف دراسة اسس الفكر الى تقديم فهم أفضل للفكر الاسلامي والرؤية الاسلامية المعبرة عن الحقيقة العلمية للنظام والحياة الانسانية ، ودون حصر التعريف بالمفاهيم الأساسية لبلورت الفكر الاسلامي ومن ثم جعله مستقلاً بيّناً ، والأكثر تأملا في اسس هذه الاسس الفكرية وتحليلها، ليجد القوانين والأفكار والقيم والمفاهيم التي تنظم اتجاه التفكير والنفس والمجتمع ، وتوجه حركتها ونشاطاتها المختلفة ، وتكوين فهم وسطي شامل حولها ، من بين كتب الفكر وكل مؤلف ، وتلك التي تعبّر أفضل تعبير عن مضمون آرائه ولذلك أسقط الكثير من كتب المؤلفين لا سيما تلك التي تناولت موضوعات تردّدت ثناياها في كتب أخرى لا تمت بصلة لهذا الفكر وأسسه ومبادئه ، وحتى يستطيع الفرد المحافظة على فكره ونشره فلا بد له من الاعتماد على اسس فكرية معتدلة ومتحررة ، ولتكون هي الوسيلة لتحقيق الأفكار والمثل والقيم التي يؤمن بها ويحرص على تطبيقها في الحياة . نعم الاسس والموازين ثروة فكرية لا تقصر في أي مجال من مجالات الفكر والمعرفة عن الفحص والضبط والتقويم وتشخيص

الخطأ والصواب ، والتي بإمكانها ان تستوعب كل جديد في الحياة وتقدم له الحل لان الفكر الاسلامي بأسسه وكلياته يملك السبق ، ولان من ابرز خصائص الفكر الاسلامي السعة والشمول ، والسبب في ذلك سعة وشمول افاق المصادر التي يعتمدها الفكر الاسلامي في مادته وقوامه .

ولابد من الاشارة ان هذا البحث ليس تكريسا لأسس التراث الإسلامي بل مفهوم اسس الفكر ذهنيا يعبر عن وضع مشترك، وروح تألفية تؤمن الانسجام بين أبناء أوطان جمعتها عقيدة تلخص أماني أفرادها وعمل مؤسساتها ومصالحها المشتركة ، ولتوطيد كيانها وتتكفل النضج العقلي وتنمي الوعي الفكري لأهمية العناصر البنيوية المكونه لديمومة الفكر الاسلامي ، وحتى يفهم الفرد ان الجهل موت وعدم ، وان العلم حياة ووجود ، والتفكير السليم أساس تقدم المجتمعات والأمم . وفي هذا البحث يستعرض الباحث أسس الفكر الاسلامي المعاصر ، بمنهج التحليل والاستقراء لمساره وتطوره وقد احتوى البحث على مقدمة وثلاث مطالب ، والأول وهو بعنوان تعريف الاسس في اللغة والاصطلاح تفصيلا وبيان بعض مجالات التوظيف واختلاف المعنى بحسب موضعها في العلوم، والمطلب الثاني وهو بعنوان تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح وقد احتوى على الجوانب الفكرية والثقافية والأساليب الفلسفية عند الفلاسفة لاستعمال كلمة الفكر وتوظيفها اصطلاحيا ، والمطلب الثالث وهو بعنوان أسس الفكر الاسلامي لخصها الباحث بجهده المتواضع في نقاط ، كما تضمن البحث خاتمه وتوصيات وقائمه الهوامش والمصادر ومن الله التوفيق .

المطلب الاول : الاسس لغة واصطلاحا

من البديهي لدى عقل الانسان الناضج والراشد إن الفِكْر لا بد أن يكون له مقوِّمات وأسس يبنى عليها ، والتي من خلالها يستطيع أن يَصل إلى مرحلة سليمة من الانتاج المعرفي الفاعل ، والتي تقوم على توجيهه نحو ما يفيد به نفسه ويفيد به غيره ، ولعل من أهم مقوِّمات النظر أو الفِكْر أن يكون الإنسان مُلمًّا إلمامًا جيدًا باللغة ومفرداتها ومعانيها، باعتبارها أساس الفهم والتواصل بين أفراد بني النوع ، لذا لابد من الوقوف على معنى كلمة أسس كما وردت في معجم لسان العرب ؛ الأُسُّ والأَسَس والأَساس ؛ مُبْتَدَإٍ كل شيءٍ . والأُسُّ والأَساس : أَصل البناء ، والأَسَسُ جمع اساس [١] ، والاسيس ؛ أصل كل شيء [٢] ، والأصل في ابتداء الغاية والتبعيض كما ورد مجمع البيان في تفسير القران في تفسير قوله تعالى (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٣] ؛ المراد أن الله تعالى شبه بنيان المنافقين " بالكفر والأرصاد والتفريق "

على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما أن من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني أنه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على أصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط [٤] ، وفي المعجم اللغوي العصري الرائد ؛ أسس تأسيسا وأسس البناء ؛ بنى حدوده وأصله ورفع قواعده ، وورد ايضا تعريف ومعنى أَسَّسَ : فعل أَسَّسَ يؤسِّس ، تَأْسيسًا ، فهو مُؤسِّس ، والمفعول مُؤسَّس ، أسَّس البناءَ : وضع قاعدته ، جعل له أساسًا وأسَّس المشروعَ ، وأسَّس الدّستور وضع أُسُسَه أسَّس نظريَّة حديثة [٥]، وأُسُس ؛ اسم ، جمع أسَاس ، وَضَعَ أُسُسَ البِناءِ : أَعْمِدةً ، دَعائِمَ ، قواعِدَ مَنْ يَبْني دُونَ أُسُسٍ كَأَنَّهُ يَبْنِي فَوْقَ الرَّمْل ، واسُس جمع أُسٌّ [٦]، وأَسَّسَ الدَّوْلَةَ وَضَعَ صَرْحَها ، أقامَ بِناءها ، أنشأها و مُؤَسِّس؛ اسم فاعل من أسَّسَ ، و مُؤسَّس : اسم المفعول من أَسَّسَ ، ومُؤسِّس "اسم" ومُؤسِّس : فاعل من أَسَّسَ مُؤسَّسة ؛ والجمع : مؤسَّسات صيغة المؤنَّث لمفعول أسَّسَ والمؤسَّسة : منشأة تؤسَّس لغرض معيَّن، أو لمنفعة عامّة [٧] ، وفي مجمع البحرين ؛ أَسَاسِيٌّ ؛ اسم " مَنْسُوبٌ إِلَى الأَسَاسِ جوهريّ أي ضروريّ لا غنى عنه ، والْمُعْجَمُ أَسَاسِيٌّ لِمَعْرِفَةِ اللُّغَةِ أي ضَرُورِيٌّ ، رَئِيسِيٌّ[٨] ، وفي المعجم الوسيط ؛ التَّعليم الأساسيّ ؛ الخبرة العلميَّة والعمليَّة التي لا غنى عنها للنَّاشئ ، ومرحلة التَّعليم الإلزاميّ ، والنِّظام الأساسيّ أو القانون الأساسيّ ؛ ما يمثّله دستور الدَّولة ، وفي المعجم الفلسفي ؛ أساس البحث ، اساس العلم إقامة الشَّيء على أساس يسوّغه ، و تَأْسيس ؛ مصدر أَسَّسَ تَأْسيسات جمع تَأْسِيس [٩].

كما ورد على مستوى المفهوم للمصادر الرئيسة للأفكار التربوية (مفهوم أسس المناهج ؛ هي كافة المؤثرات والعوامل التي تتأثر بها عمليات المنهج في مراحل التخطيط والتنفيذ . وهذه المؤثرات والعوامل تعد المصادر الرئيسة للأفكار التربوية التي تصلح أساساً لبناء وتخطيط المنهج الصالح) [١٠] .

وورد في معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ؛ وترجمة لفظ الأسس في اللغة الفرنسية " Le Fondement " ، وفي اللغة الانكليزية ESTABLISH ؛ Foundations أصل كل شيء ومبدؤه ، فنحن نقول مثلا ؛ أساس البحث وأساس البلاغة وأساس العلم ، وللأساس عند الفلاسفة معنيان الاول؛ الأساس مصدر وجود الشيء وعلته . ونقول مثلا ؛ ان عالم المعقولات أساس عالم المحسوسات. ويطلق الأساس بهذا المعنى على كل مبدأ يدعم إحدى النظريات ، أو على كل مقدمة تجعل التصديق بإحدى القضايا

واجبا ، أو على مجموع القضايا النظرية أو العملية التي يستند إليها في بناء الأخلاق ، كقولنا مثلا إن الواجبات التي يقوم بها الناس بالفعل في الأساس الذي تبنى عليه قواعد الأخلاق . والأساس بهذا المعنى قيمة مميزة من حيث اقترانه بالاستحسان ، كما في قولنا: العدل أساس الملك . فالشيء الذي لا أساس له وهمي وغير مشروع ، أمّا الشيء المبني على أساس ثابت فهو عادل ومتين. ولا يشترط في هذا الأساس أن يكون نهائيا ، لأن كل مبدأ يصلح لتعليل بعض الظواهر الجزئية يمكن أن يكون أساسا مباشرا لها ، لا أساسا نهائيا. الثاني؛ ويطلق الأساس على أعم القضايا وأبسط المعاني التي تستنبط منها المعارف أو التعاليم أو الأحكام ، فأساس الاستقراء هو مبدأه الذي يريد الانتقال من الجزئي إلى الكلى، وأساس الرياضيات هو البديهيات والمسلمات والتعريفات ، وأساس الانتقال من الشك إلى اليقين هو القول بالصدق الإلهي لأن الله { تعالى } كما يقول "ديكارت" ، لا يضلّل عباده ، وأساس الأخلاق هو المبدأ الذي تستنبط منه الواجبات الجزئية كمبدأ اللذة في أخلاق "أبيقور" ، ومبدا الكمال في أخلاق "مالبرانش" ومبدا المنفعة في أخلاق "بنتام" و"ستيوارت ميل " ، وجملة القول أن كل أمر يؤصل للبحث في إحدى المسائل يجب أن يعد أساسا لها . والأساسي هو المنسوب إلى الأساس . كقولنا : التعليم الأساسي وهو الخبرة العلمية والعملية التي لا غنى عنها للناشئة والنظام الأساسي، وهو الذي يمثله دستور الدولة . بينما يقول "فان بيما E . Van Eidra " بان لفظ الأساس لا يشير دائما إلى الحقائق الأولية ، وإنما إلى الحقائق المنطقية المتقدمة على الحقائق المطلوب تأسيسها ، ونحن نقول الأساس الأخير إذا ما أردنا التعبير بكامل الدقة عن الحد الذي لا يتصور الفكر بعده تدرجا ممكنا ، واما "لويس بويس L . Boisse" ؛ بقي لفظ الأساس ، منذ زمن بعيد ، يشير إلى الدعامة المجردة والقاعدة النظرية[١١]، ومع أنّ التمييز بين الأسس والمبادئ يبقي ضروريا في نظر الباحث . إلا أنه ليس تمييزا واضح المعالم . ثم إن كلاً من الأسس والمبادئ إنما هي مجردة ونظرية ومنطقية [١٢] ، وبهذا التفصيل والبيان لبعض مجالات التوظيف لكلمة أسس واختلاف معناها بحسب موضعها والاستعمال في العلوم واللغات الفرنسية والانكليزية نستنتج انها تأتي بمعنى مُبْتَدَإٍ كل شيءٍ ، والدعامة والقاعدة والمبادئ والحقائق الأولية والنظام الأساسي والخبرة العلمية والعملية والبديهيات والمسلمات والتعريفات في علم الرياضيات والفلسفة وأعم القضايا في علم المنطق ، والقول الصدق ، والقيمة المميزة في علم الاخلاق ، والحد الذي لا يتصور الفكر بعده تدرجا ممكنا ، والمقدمة ، والتعليم الاساسي في

علم التربية . وكمفهوم في أسس المناهج التربوية والفكرية هي كافة المؤثرات والعوامل . ومنه ينتقل البحث الى التعريف الى لفظ وكلمة الفكر وما ينتج منه دمجها مع لفظ وكلمة الاساس .

المطلب الثاني : الفكر لغة واصطلاحا

من يراجع قواميس اللغة والدراسات التفسيرية والمنطقية والفلسفية والعلمية التي عرفت الفكر وتحدثت عنه ، يجد ان للفكر عدة تعريفات بحسب التوظيف والاستعمال والسياق ، ومن المفيد هنا أن نعرض عدة تعريفات للفكر كما وردت لبعض أعلام الاصطلاح والفكر والعلم والفلسفة واللغة :

قال ابن منظور في لسان العرب ؛ الفكر اعمال الخاطر في شيء [١٣] ، والفِكر بالكسر ويفتحُ اعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرَى بكسرهما أفكار فكر فيه وأفكرَ وفكرَ وتفكر وهو فكيرُ كسكيت ، وفيكر كصيقل ؛ كثير التفكير ، ورجل فكر؛ كثير التفكير. والفكر مقلوب عن الفرك ، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها [١٤]، وقال الراغب الاصفهاني: الفكرة قوة مطرقة للعلم الى المعلوم ، والتفكر : جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ، إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة . قال تعالى :(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات)[١٥]، (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة)[١٦]، (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[١٧] ،(يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون* في الدنيا والآخرة) [١٨] ، ورجل فكير : كثير الفكرة ، قال بعض الأدباء : الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني ، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها[١٩]، وقريب من هذا المعنى ما ورد في نهج البلاغة مما أختاره وجمعه الشريف الرضي من خطب الامام علي (عليه السلام) ؛ (واعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ ومَزَالِقِ دَحْضِه ، وأَهَاوِيلِ زَلَلِه وتَارَاتِ أَهْوَالِه ، فَاتَّقُوا اللَّه عِبَادَ اللَّه ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَه ، وأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَه وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِه ، وأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِه وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِه ، وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِه وقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِه)[٢٠] ، وعرف الشيخ عباس القمي الفكر بقوله: اعلم ان حقيقة التفكر طلب علم غير بديهي من مقدمات موصلة إليه. وقيل التفكر سير الباطن من المبادئ الى المقاصد ، وهو قريب من النظر ، ولا يرتقي احد من النقص الى الكمال إلا بهذا السير[٢١] ، وفي كتاب ميزان الحكمة روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (عودوا قلوبكم الترقب ، وأكثروا التفكر والاعتبار)[٢٢] .

وفي الدراسات المنطقية عرف الشيخ محمد رضا المظفر الفكر بقوله ؛ تعرف مما سبق ان الفكر المقصود منه اجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة لأجل الوصول الى المطلوب ، والمطلوب هو العلم بالمجهول الغائب ، وبتعبير اخر أدق ، ان الفكر هو حركة عقلية بين المعلوم والمجهول (٢٣)

ومن هذا التفصيل تتضح ويتبين معنى كلمة ولفظ الفكر ، بأنها اعمال النظر ، وطلب علم، وحركة عقلية ، وقوة مدركة ، وسير باطن الانسان يكتشف الانسان عن طريقها المجهول ، والقضايا المجهولة لديه والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها ، فتنمو معارفه وعلومه وأفكاره في الحياة . ونستنتج منه أيضا نتيجة اساسية وهي ان الاسلام حينما دعا الى التفكر انما دعا الى العلم والمعرفة لتأسيس العلوم واكتشاف أسس وقوانين الفكر والطبيعة والمجتمع والحياة ، وبذا اعطى الحياة والحضارة والمعرفة الاسلامية صفة الحركية ، وهي سر النمو والتطوير والفاعلية والبقاء المؤثر في مسيرة البشرية ، كما انها حصانة من السقوط والتوقف والغياب التاريخي .

وعلى مستوى الشواهد الفكرية أو الفلسفية وفي اللغات الاخرى يترجم الفكر مثلا في اللغة الفرنسية " la pensée " وفي اللغة الانكليزية" thought ، mind ، idea " ويطلق الفكر عموما على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ، ويراد به النشاط العقلي ، سواء اعتبر هذا النشاط في حد ذاته وبصرف النّظر من بُعدهِ المعرفي الموضوعي ، مثل الكوجيتو الديكارتي الذي يثبت الذات المفكرة بما هي فكر قبل إثبات العالم الخارجي وما يشتمل عليه من موضوعات لهذا الفكر ، أو أعتبر من جهة كونه الوعي بكل ما يحدث فينا أو خارجا عنّا ، أو اعتبر ملكة إدراك وفهم وحكم على الأشياء ، وجميع هذه المعاني تخرج الانفعالات والعواطف والارادات والغرائز من مفهوم الفكر ، إلا أن بعض الفلاسفة يوسعون معنى الفكر ويطلقونه على جميع ظواهر النفس ، مثل "ديكارت" الذي يقول في التأملات ؛ " اني شيء مفكر ، أعني شيء يشك ، ويثبت ، وينفي ، ويعرف أشياء قليلة ، ويجهل الكثير من الأشياء ، ويحب ويكره ، ويريد ولا يريد، ويتخيل أيضا ويحس (٢٤). ولقد بطل اليوم استعمال لفظ الفكر بهذا المعنى ، وفي الحقيقة فإن ديكارت نفسه لم يطلق لفظ الفكر على الحالات الانفعالية والإرادية إلا من جهة ما هي حالات تدركها النفس بإعمال الفكر فيها . لذا إن الفكر يطلق على النشاط الذي تقوم به النّفس عند تفكيرها في المعقولات ، أو يطلق كذلك على المعقولات نفسها فيدل على الموضوعات التي تفكر فيها النفس ، وفي هذا السياق يمكن أن نتحدث عن الفكر الديني والفكر

السياسي ، (نتذكر دائما باستمرار أساس البلاء في مجال الفكر أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يد واحدة .... هكذا كانت الحال في جانب تراثنا ... يحاسب الحاكم المفكر أو الشاعر على أفكار دارت في رأسه أو سريرته دون ان يعلنها أ ينطق بها)[٢٥] ، وما إليهما ، ويقول " ابن سينا" ؛ " أعني بالفكر هنا ما يكون عند إجماع الإنسان أن ينتقل عن أمور حاضرة في ذهنه متصوره أو مصدّق بها تصديقا علميا أو ظنيا أو وضعا وتسليما إلى أمور غير حاضرة فيه ، وهذا الانتقال لا يخلو من ترتيب " ، وعند باسكال " Pascal " ؛ الإنسان قصبة ، بل هو أضعف قصبة في الطبيعة ، إلا أنّه قصبة مفكرة . ولا يتطلب سحقه أن يتجند ضده الكون بأسره ، بل تكفي قطرة ماء واحدة للقضاء عليه ، لكن حتى لو سحقه الكون ، فالإنسان يبقى انبل من قاتله، لانه يعلم أنه يُقتل ، بينما الكون لا يعلم شيئا من تفوقه عليه . أما الفيلسوف "روسو Rosseau " فيعبر عن ؛ " الإنسان الذي يفكر حيوان منحرف " . بينما يقول الفيلسوف "الان Alain " ؛ ولا يوجد سوى منهج واحد للإبداع ، وهو التقليد والمحاكاة ولا يوجد سوى منهج واحد للتفكير السوي ، وهو مواصلة فكرة قديمة سبق أن اختبرناها. وان الأمر الذي يشق علمنا أكثر من غيره هو أن نقول ، مع التفكير فيها نقول ، ما يقوله الجميع دون أن يفكروا فيه ، وان الذي لا يبدأ بعدم الفهم لا يعرف معنى التفكيره [٢٦] .

والباحث يستنتج أيضا مما سبق من المعاني ان لفظ الفكر بأي لغة كانت يشترك مع صنوف الفكر لدى الانسان في الحاجة الى التطبيق وعملية مقايسة دائمة ، ويتأثر بزمان ومكان حركة ذلك الفكر حتى ينتج فكرا تقويميا ، سواءً من حيث الممارسة أو المنهجية وقدرته على الاستجابة لشريحة أوسع من بين البشر ، ويجمع بين العقل والبرهان والعاطفة والمنطق والإحساس والوجدان، أي ان يخاطب ملكات الانسان كفرد وكمجتمع ، ومن ثم الاستجابة لمتطلبات الانسان وسعادته ، وقدرته على التحول الى مناهج تطبيقية تحقق اليسر والرخاء بمنظومة فكرية متكاملة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة من شؤون الانسان .

المطلب الثالث : اسس الفكر الاسلامي

لاشك ان الباحث بنظرة تحليلية واعية لمسار تاريخ الفكر الاسلامي ، نشأته ونموه وتطوره ، و(التزاماً بما أكَّده الله في كتابه الكريم من قيمة الفكر ، باعتبار أنَّ الفكر هو أساس المعرفة ، سواء كان ينطلق من التَّأمُّل أو كان يتحرَّك في خطِّ التَّجربة) [٢٧] . ويستقرأ ويحلل بنية هذا الفكر ويرده الى عناصره الأولية الأساسية في كل جانب من جوانبه ، كالفلسفة وعلم الكلام ، وعلم الاقتصاد وعلم السياسة والفلسفة السياسية

وعلم الاجتماع وتفسير التاريخ وفلسفته وعلم الاخلاق وعلم النفس ، وعلم أصول الفقه ، وتفسير القران الكريم ، وعلم الفقه وغير ذلك من العلوم كاللغة والبلاغة والعلم التجريبي والفلك والرياضيات ، والمعارف التي تناولها المفسرون والمفكرون والعلماء والباحثون الاسلاميون منذ نشأة الفكر الاسلامي وحتى يومنا المعاصر ، نعم يستطيع الباحث أن يستنتج من خلال ذلك اسس الفكر في مسيرة نمو الفكر الاسلامي وتطوره ونضجه .

ففي بداية حركة الحياة الفكري الاسلامية التي بدأت بهبوط الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وانطلاق الدعوة في محيط من الجهل والتخلف والأساطير المتوارثة ، حيث لم يكن لدى المسلمين من معارف وعلوم وفكر غير ما حوى المصحف الشريف والسنة المطهرة والسيرة النبوية ، وهما كما هو واضح يشكلان المعين الفكري الذي لا ينضب ، والأساس والقاعدة والمنهج اللذين استوحي واستنبط منهما الفكر الاسلامي نتيجة حركة التفكير والاستنباط والاجتهاد والابتكار ، وشيد عليهما صرح البناء الفكري للمسلمين والإنسانية أجمع ، والتي أصبحت في القرون التالية مدينة في نضجها ورقيها الفكري والإنساني والمدني للإسلام ورسالته ورجالته . والباحث يشير الى أن اول فاتحة للفكر الاسلامي تمثلت بمحاولة قراءة النص القرآني أو بعلم التفسير ، فقد كان المسلمون على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يلجئون إلى شخصه لفهم القرآن الكريم وتوضيح ما أشكل عليهم ومعرفة دلالات الآيات ومضامينها كلا بحسب مستواه ، وهذا العطاء النبوي هو جزء من السنة وأساس الفكر والعلم والأدب . وبما أن حركة الفكر والمجتمع بدأت تنمو بوحي من حركة الرسالة نفسها واستطاع ان ينجز التجربة العملية في الجانب الفكري ، وكانت بداية هذه الحركة في إطار القرآن الكريم التي تمثلت في محاولة فهمه واستخراج معانيه وتفسير دلالاته ، ويمكن رصد عدة اسس للفكر الاسلامي المنجز منذ ذلك العصر ، ومنه نشأت المحاولات التنظيرية وان تفاوتت درجاتها ، ولكن هذا الفكر دخل تحديا شجاعا مع عمق نماذجها الرائدة في كل حركته في الواقع من موقع الثقة ، مراحل جديدة مع انبثاق الاسئلة والإشكالات المتنوعة ، ومهدت السبيل لبعث آراء وأفكار جديدة ، بعد ان تحرر من الحواشي والشروح ، (فقد اتسم هذا الفكر في مرحلته الأولى بنزعة اعتذارية تبريرية ، وطبعت آثار الدارسين مقارنات واسعة بين قضايا التراث ومعطيات العلوم الحديثة ، بهدف ترسيخ الانتماء للأمة وميراثها . ولم تتجاوز دائرة المهتمين بهذا الفكر نخبة ضئيلة من المستنيرين

، الذين تخرجوا في الحواضر العلمية التقليدية ، وتعرفوا على النمط الجديد للعلوم)[٢٨]

لعل من أهم اسس الفكر هي صلة الفكر بالدين الاسلامي ، وإقامة مدرسته ومناهجه البحثية العامة والفنية الخاصة والمنطقية على مبادئ هذا الدين ، ويكفي أن نلقي نظرة الى اسس هذه المناهج ونظامها ورجالاتها الذين نهلوا وشربوا وتربوا من روح هذا الدين .

ومن يستقرا ويحلل كتب علماء وفلاسفة ومفكري الفكر الاسلامي يستنتج أيضا حقيقة أسس هذا الفكر وان اتجهت الى مذاهب شتى إلا ان مصادر هذا الفكر لا تخرج عن دائرة الثقافة الاسلامية ، والبعد العقلي الصرف ، والمنطقي الفائق ، والإصلاحية والنهضوية والوسطية والفقهية المعتدلة والواعية عقديا ، والوالجة في الموضوعات والتفسيرات والمناقشات في الارض الخصبة للإسلام والخلقية الملتزمة والجادة ومن ثم يجد ابرزها بحسب جهد الباحث المتواضع :

أولا : بنائه على نظر واقعي وفلسفة عقلية وتأملية وواقعية بأصالة الايمان بالله تعالى ، ومن ثم ضرورة معرفة المصادر الاساسية للفكر الاسلامي وأولها معرفة القرآن الكريم (فمعرفة القرآن ضرورية ، لان هذا الكتاب عاملُ مؤثر في تكوين مصير المجتمعات الاسلامية ، بل وفي تكوين المجتمعات البشرية ...لكون القرآن المنبع الاصلي والأساسي للدين والإيمان وفكر كل مسلم ، ولان " القرآن " يهب الحياة حرارة وروحا وحرمة ومعنى)[٢٩]

ثانيا : بنائه على منهج علمي .

ثالثا : محاولة بنائه على نسق وسطي معتدل .

رابعا : نقد الفكر والفلسفة السلبية وأوجه القصور الانساني في نقد موضوعي لأفكار أبناءه ، كي تسهم في اعلاء صرح راية التوحيد على كافة المستويات ، وإظهار مهارات التفكير النّقدي والحجج المنطقية في حلّ المشكلات وردّ الشبهات المثارة حول القرآن وعلومه .

خامسا : الدعوة لبناء مجتمع واع متحضر . واع بالمسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية ، والتثقيف لكل أثر ايجابي للفهم العقلاني الانساني للدين . وتخليصه من الافكار الغريبة والميتة ، واستدعاء الافكار والأنظار الحية واللا مفكر فيها ودمجها بواقع الحياة الفكرية.

سادسا : الاجتهاد لتبني اتجاها فقهيا للحياة المعاصرة . وتبني الرؤى والمبادئ التي تهدف إلى مواكبة العصر ، وتعزز المصالحة بين الفرد المتدين والمجتمع الذي يعيش فيه.(واذا كان تشريع العبادات ، لم يترك فراغا ، ولا مجالا للتجديد والإجتهاد ، كونه توقيفيا لجهة المواقيت والعدد ، والأجزاء ، والشروط ، وكون نصوصه تحسبت للتغييرات، والتقلبات الإنسانية ، من حيث المكان، والظروف والإمكانات ، ووضعت

في الحساب حالات الضرورة والطوارىء .. ظل هذا الباب في الشريعة ثابتا لا يأتيه التغيير ، ولا يطاله التبديل ، ولا مجال فيه للإجتهاد .. وحتى الخلاف على التفاصيل فيه يؤكد القاعدة العامة ولا يعدلها أو يلغيها) (٣٠) .

سابعا : الفلسفة الفكرية الموسوعية لجميع مجالات وفروع الفلسفة بالمعنى العام لشريعة الاسلام وصرحها ومشروعها وأمنها الفكري على اساس التوحيد الخالص .

ثامنا : كشف الاتجاهات الخارجة عقديا وعقليا . أي كشف التيارات والموضوعات والآراء الخارجة عن الصواب والصدق ، والمتناقضة الافكار ، والخارجة عن المنهج العقلي والمغالية أو المهمشة للدين .

تاسعا : التوظيف العقلي الاجرائي للمناهج والمفاهيم بما يسهم في تحقيق ما يسمى اليوم التنمية المستدامة في جوانبها المتعددة العلمية والصحية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وذلك بظهور الدعوات للإصلاح والتجديد والنهضة للباحثين في المعارف والخبرات والمهارات والقيم اللازمة لتنمية التفكير الإبداعي الخلاق والمنتج والتحليل الناقد الذي يمكن الفرد والمجتمع من مواكبة التطور العلمي ، والرقي الفكري ، والتجديد في كافة المجالات بما يبعث على متانة التفكير ويبعث على النهضة .

عاشرا : ترك الاكراه في الدين ونبذ العصبية القومية ، والتثقيف على الحريات وحقوق الإنسان ، وتجفيف المنابع التي ترسخ المفاهيم الاستبداد والفرعونية المتسلطة .

احد عشر : الدعوة لأخلاق الاسوة الحسنة والفلسفة الخلقية المتزنة .

ثاني عشر : الانفتاح لقبول التعددية الفكرية والتسامح الانساني ، وإرساء قيم الاختلاف وقبول الآخر ، وإشاعة ثقافة التعايش ، والحوار المنتج بين الأديان والثقافات ، وترسيخ العقلية الناقدة البناءة ، وتجاوز العقلية الجامدة المغلقة .

الخاتمة

اساس البناء الفكري الاسلامي والنظر السليم هو التكوين والإنشاء والابتكار ، وأسس الفكر فهو نتاج تفاعُل الإنسان مع المحيط الخارجي ، وخلاصة الاستنتاجات والخبرات الخاصّة السابقة والحديثة والمعاصرة ، والمعارف التي تناولها المفسرون والمفكرون والعلماء والفلاسفة والباحثون الاسلاميون منذ نشأة الفكر الاسلامي وحتى يومنا المعاصر، والباحث يستنتج من خلال ذلك اسس الفكر في مسيرة نمو الفكر الاسلامي وتطوره ونضجه . ودمج مفهومي " أسس و" فكر " مع بعضهما البعض وجد من خلالها الباحث أنّ أسس الفكر هو نتاج التّجارب والخبرات والتفاعل مع المحيط الانساني، وان الاحتفاظ بها في ذاكرة الفكر كتراكم معرفي في

التراث والثقافة الاسلامية ، وتطبيقها على أي بحوث ودراسات معاصرة تجود بها يد الإنسان على الساحة الفكرية الحديثة والمعاصرة . وبجهد متواضع قد استعرضها الباحث ومن الله التوفيق .

ويوصي الباحث بمواصلة البحث لاستنباط اسس أخرى ، فان اساس كل فكرة أسلامية نظر وتأمل بميزان اسلامي ومنهج علمي ناهض ، أي فكرة نضجت ولا شيء أعظم من فكرة نلمس ثمراتها على أرض الواقع ، قال تعالى " لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم " ، أي يغيروا أفكارهم السالبة بمعنى من المعاني ، وكثيرة هي الافكار الصائبة الصادقة بحسن قول المناطقة التي تحدث التغييرات المهمة ، والتي تبدأ بفكرة كما يقول الفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت" وحدها الأفكار تُغيّر العالم ، ولأن أسس الفكر فعل ، وثمرة الفعل إعماله ، لهذا فإن محور التغيير الفكري نحو الأفضل يكمن في التوثب والسعي والاجتهاد للعمل الجاد لتنفيذ كل فكرة على اساس منهجي منظم تشهد لها ثمرتها بالإيجابية ، فأساس بناء الحضارات هما "البناء والفكر" وهما مفهومان بلا شك يصاحبهما التخطيط والتصميم والتنظيم والتأسيس .

الهوامش :

(١) ينظر ؛ ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:٧١١هـ)، لسان العرب ، اداب الحوزة ، ١٤٠٥ ، مادة "اس – اسس "

(٢) ينظر ؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب،القاموس المحيط ، اعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م ،ص ٤٩١، مادة الاسُ

(٣) سورة التوبة ؛ الآية ١٠٩ .

(٤) ينظر ؛ الطبرسي ، امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران، دار العلوم ، بيروت – لبنان ، ج ٥ ، ط١، ٢٠٠١م ، ص ٩٤ .

(٥) ينظر ؛ مسعود، جبران، معجم الرائد ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٧ ، اذار " مارس " ١٩٩٢م، ص ٥٣، مادة " اساس " .

(٦) ينظر ؛ الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت:٣٩٣ هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، ط٤ : ١٤٠٧ هـ ، مادة " أ، س " .

(٧) ينظر ؛ الطريحي، الشيخ فخر الدين (ت:١٠٨٥هـ) ، مجمع البحرين ، مرتضوي ، جايخانه طراوت ، ط٢ ١٣٦٢ ش، مادة " أس ، أساس .

(٨) ينظر ؛ سعيد ، جلال الدين ، معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ٢٠٠٤م ، ص ٣٢ .

(٩) ينظر ؛ صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ذوي القربى ، المطبعة سليمان زاده ، قم ، ط ١، ج١ ، ١٩٨٢م، ص٥٣ .

(١٠) عبد الرحمن ، د . كامل عبد الرحمن محمود ، اسس بنا المنهج وعناصره ، جامعة الفيوم، ط١،مصر ، ج١، ٢٠٠٨م ، ص ١٥ .

(١١) ينظر ؛ سعيد ، جلال الدين ، معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .

(١٢) ينظر ؛ المصدر نفسه ، ٣٧ .

(١٣) ينظر ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة " فكر " .

(١٤) ينظر ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مصدر سابق ، مادة " الفكر" ص ٤٢٦ .

(١٥) سورة الروم ، الاية ٨ .

(١٦) سورة الأعراف ، الاية ١٨٤ .

(١٧) سورة الرعد ، الاية٣ .

(١٨) سورة البقرة ، الاية ٢١٩ – ٢٢٠.

(١٩) ينظر ؛ الأصفهاني ، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق صفوان عدنان داوودي ،سليمان زاده، طليعة النور مكتبة ذوي القربى، إيران – قم ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، مادة "فكر " ، ص ٦٤٣ .

(٢٠) الرضي ، الشريف ، نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي صالح ، ط١ ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ، – ١٩٦٧ م ، ص١١١.

(٢١) ينظر ؛ القمي، الشيخ عباس، سفينة النجاة، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م، باب الفاء والكاف.

(٢٢) الريشهري ، محمد ميزان الحكمة ، تحقيق دار الحديث ، دار الحديث ، ج٢ ، ط١ ، ١٤١٦هـ . ص ١١٠٨ . عن كنز العمال رقم الحديث ٥٧٠٩ .

(٢٣) ينظر ؛ المظفر؛ الشيخ محمد رضا، المنطق ، مطبعة حداد، ط٣ ، بغداد ، ١٩٧٥ م ، ص ١٧

(٢٤) ينظر ؛ سعيد ، جلال الدين ، معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ، مصدر سابق ، ص ٣٢٩ .

(٢٥) امام ، أ . د . امام عبد الفتاح ، الطاغية " دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسي " ، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٨٣، الكويت ، ط١ ، مارس ١٩٩٤م ، ص ١٩١ .

(٢٦) ينظر ؛ سعيد ، جلال الدين ، معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ، مصدر سابق ، ص ٣٣٠ .

(٢٧) فضل الله ، السيد محمد حسين ، قضايانا على ضوء الاسلام ، دار الملاك ، ط٨ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ص ٤١ .

(٢٨) ميلاد ، زكي ، الفكر الاسلامي وتطوراته ومساراته الفكرية ، دار الهادي ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، ص ٧ .

(٢٩) مطهري ، الشيخ مرتضى ، الفكر الاسلامي وعلوم القران الكريم ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ص ١١ .

(٣٠) شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، التجديد في الفكر الاسلامي ، در المنهل اللبناني ، ط١ ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٧– ١٤١٨هـ ، ص٥ .

المصادر

القرآن الكريم .

– ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:٧١١هـ)، لسان العرب ، ، اداب الحوزة ، ١٤٠٥ هـ .

– امام ، أ . د . امام عبد الفتاح ، الطاغية " دراسة فلسفية لصور من الإستبداد السياسي " ، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٨٣، الكويت ، ط١ ، مارس ١٩٩٤م .

– الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت:٣٩٣ هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧ هـ .

– الرضي ، الشريف ، نهج البلاغة ، تحقيق الدكتور صبحي صالح ، ط١ ، بيروت، ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧ م .

– الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، تحقيق دار الحديث ، دار الحديث ، ج٢ ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

– سعيد ، جلال الدين ، معجم مصطلحات الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ٢٠٠٤م .

– شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي ، التجديد في الفكر الاسلامي ، در المنهل اللبناني ، ط١ ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٧– ١٤١٨هـ .

– الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق صفوان عدنان داوودي ،سليمان زاده ، طليعة النور مكتبة ذوي القربى – إيران – قم ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

– صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ذوي القربى ، المطبعة سليمان زاده ، قم، ط ١، ج١ ، ١٩٨٢م .

- الطبرسي ، امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران ، دار العلوم ، بيروت – لبنان ، ج ٥ ، ط١، ٢٠٠١م .
- الطريحي، الشيخ فخر الدين (ت:١٠٨٥هـ) ، مجمع البحرين ، مرتضوي ، جايخانه طراوت ، ط٢ ١٣٦٢ هـ ش .
- عبد الرحمن ، د . كامل عبد الرحمن محمود ، اسس بنا المنهج وعناصره، جامعة الفيوم ، ط١،مصر ، ج١، ٢٠٠٨م.
- فضل الله ، السيد محمد حسين ، قضايانا على ضوء الاسلام ، دار الملاك، ط٨ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، اعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٣م .
- القمي، الشيخ عباس ، سفينة النجاة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م .
- مسعود ، جبران ، معجم الرائد ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٧، اذار " مارس " ١٩٩٢م .
- مطهري ، الشيخ مرتضى ، الفكر الاسلامي وعلوم القران الكريم ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
- المظفر ، الشيخ محمد رضا ، المنطق ، مطبعة حداد ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٧٥ م.
- ميلاد ، زكي ، الفكر الاسلامي وتطوراته ومساراته الفكرية ، دار الهادي ، ط١ ، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

Summary

The foundations of contemporary Islamic thought are numerous and the proper consideration of these foundations since the formation, creation and innovation of Islamic thought has witnessed a remarkable development and renewal, and the foundations of thought are the product of the thinking person's interaction with the external environment in the balance of the Islamic religion and its straight path, and the summary of conclusions and special experiences of past, modern and contemporary, and knowledge addressed by commentators, thinkers, scholars and philosophers And Islamic researchers can even say that the principles of thought since the inception of Islamic thought until the present day were the result of elements and characteristics that earned it the ability to grow, permanence and interact with the requirements of reality.